

أساليب الهزل الناجمة عن الإبداع الأدبي في زمن كورونا

The methods of decadency that result from literary innovation in the times of Corona

صابرة بن قرماز *

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

t.benguermez@univ-chlef.dz

تاريخ الوصول..... تاريخ القبول..... تاريخ النشر.....

ملخص:

أضحت جائحة كورونا من الأوبئة الخطيرة التي شكلت نقطة تحدٍ للعالم بأسره، كون هذا الوباء كان واسع الانتشار على جميع الأصعدة، فآثره لم يشمل الإنسان وحده فحسب بل مسّ كل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والصحية، كون هذا الوباء يستلزم القصر والحصار بين أفراد المجتمع عموما وعلى مستوى الأسرة على وجه الخصوص من أجل تطبيق سبل الوقاية منه والحد من انتشاره اللامحدود فقد شكل كارثة إنسانية تصل إلى حد الهلاك، ومن هنا انقسم المجتمع بين مصدق ومقتنع ومستوعب بخطورة الحدث تماشيا و تطبيقا لمتطلبات التوعية وتطبيقا لإجراءات الوقاية، وبين مكذب أو مستهين بهذا الوباء واعتباره مجرد نزلة برد عابره، لاغيا شروط الحماية والاستهانة بالتأهب لمواجهة الوباء .

الكلمات المفتاحية: أساليب، الهزل، الإبداع الأدبي، الزمن، كورونا .

Abstract:

The Koruna pandemic has become a major challenge for the entire world, as the epidemic has been widespread on all levels, affecting not only the human being but all economic, social and health relations. The fact that this epidemic requires minors and the restriction of all members of society in general and the family in particular to apply its prevention and to reduce its unlimited spread has been a humanitarian disaster that has reached the point of death. This is why society is divided between a credible, convinced and aware of the seriousness of the event in line with the requirements of awareness and the application of preventive measures, and between lying or abuser of the epidemic and considering it a mere cold, void the conditions of protection and insult to be prepared to confront the epidemic.

Keywords: Styles, insulations, literary creativity, time, Corona.

انتهج صنف من المجتمع منهج الجد والصرامة، وتعامل بحذر في حياته اليومية ، وهذا الصنف من الخاصة واجه الوباء احترازا وفكريا، مجسدا إياه في تفعيل القريحة الشعرية

الكامنة لديه نحو الإبداع الفني بمختلف الألوان والأصناف الأدبية، منها الخواطر والشعر في محاولة منهم تسعى إلى التعبير عن مكبوتات النفس، خصوصا أن هذه الفترة شكلت تحديا نفسيا طارئا يلزم الفرد على البقاء في منزله لفترة لا معلومه، ومنها بزغ الحس الفني حيث توجهت هذه الفئة إلى توجيه النصائح والإرشادات في قالب شعري تحفيزي تنغمي بغية وصول الفكرة إلى المتلقي، أم الصنف الثاني الذي اعتمد على القالب الهزلي فلم يطبق إجراءات الحماية، وتقاعس في تطبيق السبل المنشودة من قبل وزارة الصحة وهو ما جعله يتعامل مع الموقف بطريقة هزلية خالية من الجد، فردة الفعل هذه كانت نابعه من قلة الوعي أو الجهل الغير متعمد، وهذا ما جعلنا نتلف حول معالجة موضوع كورونا وأثره في إيقاد الحس الفني الإبداع من خلال رصد عينات من الشعر ودراستها في هذا المجال وتحليلها فنيا من خلال استنباط الفكرة المرجوة من وراء كل بيت شعري.

كان يتعامل المجتمع العربي مع وباء كورونا من قبل فئة محددة تتمتع بروح الدعابة من أجل خلق جو توسعي تروحي عن النفس في محاولة منهم الخروج من شباك الحجر الصحي الذي بدوره أثر على الصحة النفسية على الكثير من الناس خصوصا أولئك الذين يتجولون كثيرا ولا يتحملون إطالة المكوث في مكان معين، فبعضهم ترك العمل، وخاصة أصحاب المهن غير محددة بإطار معين وهذا يشمل العامل اليومي، الذي لا يستفيد من مرتب حكومي أو مرتب تابع لذوي الخواص، وهي الفئة التي تأثرت بمخلفات الوباء، إلا أن هذا التأثير على مسار الحياة لم يمنعهم من التحلي بروح الفكاهة والتعامل مع الوباء كأمر عابر بطريقة هزلية، ومنهم من لم يرض حتى أن يطبق أصول الوقاية من فيروس كورونا، استحياء من استعمال بما يسمى بالكمامة التي هي عبارة عن واق يصرف الوباء عن الشخص الصحيح ويمنع الإصابة أو يقلل منها فرصها إلى حد ما من الشخص المريض إلى الشخص السليم، فبعضهم يرى أن تلك الكمامات تخل برجولته كون الرجل لا يغطي وجهه فتسقط رجولته وطبعاً هؤلاء من أصحاب النظرة القاصرة والتفكير المتعصب والمتزمت والنظرة المحدود، والبعض الآخر يرى أن تلك الكمامات يقتصر استعمالها على الحيوانات كون أن أجدادنا مسبقا كانوا يضعون لثاما يحاكي الكمامة على فم الماعز أو الأغنام حتى لا تقوم برضع أمهاتها فتجف من الحليب، فيضعون لها تلك الكمامات، كي لا تتمكن من الحصول على الحليب ليستفيد منه أصحاب المنزل في صباح الباكر، وقد كانوا ينظرون إلى الكمامة من وجهة حيوانية لا تليق بالإنسان ومستواه وخصوصا العجائز الذين مارسوا هذه الطقوس في زمان غابر وبقيت راسخة في أذهانهم إلى يومنا هذا مازلت بعض العائلات التي تملك قواطع من الأغنام تضع الكمامات للماعز.

وتوجد فئة استغلت وباء كورونا في كتابة الأشعار الهزلية المثيرة لضحك لتصنع جوا من البهجة والضحك، يقول بعضهم حتى أنهم لم يصفح على أسمائهم مكتفين بقول الشاعر كوروني أو أبو الكمامة الكوروني :

وكنت أعشق قبلا لحن عطستها

وصرت إن عطست ينتابني الهلع¹

وهنا يرى هذا الشاعر أنه كان للعطسة لحن مشتق له من قبل ، حين كان لا يوجد شيء اسمه كورونا وكانت الحياة تمشي على الرتابة من الهدوء والأمان ، إلى أن جاءت كورونا وخلفت الرعب والخوف في النفوس ونفخت الأمان الموجود، حتى تطايرت وظهت شضاياه في كل مكان فصار كل من يعطس مشتبه بيه وتوجه له أصابع الاتهام وصاحب عدوة ينبغي تجنبه فأصبح العطس وصمة عار ، والبعض يعطس متخفيا خوفا من اتهامه بحضانة الوباء رغم أن العطس شيء طبيعي في الإنسان وله عدة مثيرات إلا أنه في زمان كورونا أصبح مقترنا بها بشكل خاص ومؤكد وثابت في أذهان جل البشر وهذا ما يفسره قول الشاعر :

وصرت إن عطست ينتابني الهلع.

ويقول كذلك :

عزلتها من فوادي مثلما عزلوا

مستوطنين من أرض الصين قد رجعوا²

وهنا يتأكد لنا الهلع الذي خلفه الوباء في نفوس الكثيرين من الأشخاص ، فبمجرد أن عطست عزلها وابتعد عنها خوفا منها حفاظا على نفسه ، فهو بذلك يقر بأنه تعامل معها باحتياط مبالغ فيه ، كتعامل الشعوب مع الجاليات الموجودة في الصين التي حطت الرحال في البلاد ، وما تتلقاه بعد ذلك من عزل وشكوك حولها حتى تتأكد سلامتها أو مرضها .

فالشاعر كان حريصا هنا على كتابة شعره ضمن إطار هزلي بحت فجاء شعره هنا بحلة كوميدية محضة، ونجد هذا التقسيم الشعري وارد في عند حازم القارطاجني عندما تكلم عن المحاكاة ومسار الشعراء في كتابة الشعر فالشعراء منذ الأزل ينوعون في أصناف الشعر وأشكاله وأغراضه .

إن المتصفح لكتاب حازم القرطاجني يلاحظ حرصه الأشد على أن يستفيد من كل تفكير يوناني محاولا أن " يطبق تقسيم الشعر العربي إلى تراجيديا وكوميديا معتمدا على ملاحظات

أرسطو أن الشعراء الأخيار مالوا إلى محاكاة الفضائل ، والشعراء الأراذل مالوا إلى محاكاة الرذائل ، وهو ما تحدث عنه ابن سينا من أن التراجيديا محاكاة ينحى بها منحى الجد والكوميديا محاكاة ينحى بها منحى الهزل والاستخفاف فيجعل ذلك أساسا لتقسيم الشعر العربي الغنائي إلى طريق الجد وطريق الهزل³.

ووباء كورونا هنا كان محل استخفاف من بعض العامة من الناس لأغراض ترويحوية فحسب

يحرص حازم على الطرق الشعرية ودورها في تأتي نوع من الإحساس لدى المتلقي كما خصص حازم القرطاجني جزءا من كتابه الأخير، عنوانه : الأسلوب، الذي تضمن فيه معالجته لأقسام الشعر الذي يترواح بين: الجدّ والهزل، وبين ملاءمتها للنفوس أو منافرة لها يقول حازم : "والشعر ينقسم أولا إلى طريق جد وطريق هزل فأما طريقة الجد فهي مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة وهوى إلى ذلك وأما طريقة الهزل فإنها الهزل فإنها مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمة و الهوى إلى ذلك" 4 ، يطرح حازم القرطاجني فكرة أقسام الشعر وعلاقتها بالمتلقي حيث اعتبر حازم أن الجدّ ذو صلة وطيدة بالعقل لأنه لا يخلو من الرصانة والمتانة، أما طريقة الهزل فهي قرينة الهوى و لها حلاوة والرشاقة على قلب السامع حيث يلجأ لها عقل الإنسان من خلال هواه وميوله واختياره .

يولي حازم عناية كبيرة بطرق الأقاويل الشعرية وأساليبها وأثرها في المتلقي وهنا يحرص على الاهتمام بطريقة الهزل وما لها من أثر في نفوس السامعين يقول : "وإنما هو على جهة المزح والدعابة ليبسط بذلك من النفوس ويحرك : فكثير من معاني الهزل تحرك ذا الجدّ وتطربه وإن لم يكن من شأنه"⁵، يرى حازم أن طريقة المزح والدعابة أي الهزل تنال حظها من التأثير في المتلقي وتحرك نفسه وتطربه وتسره .

تختلف أحوال الناس في الإحساس باللذة والألم تبعا لطبائعهم التي تنسجم مع نوعية الأقاويل الشاجية، والسارة والمفجعة والمؤتلفة وغيرها، المتداولة بين بساطة وتركيب، لأن الكلام في أصل دلالاته يقوم على اللذة أو يثير الاهتمام الذي سامعه أو قارئه ويكون الخلود مصيره وبناء على ذلك فهو قولاً أكثر صناعة من الكلام العادي...⁶ ، يفهم من قول تودروف أن الإنسان حتى لو كان في موقف الألم فإن الأقاويل هي التي تحدد نوعية الإحساس في تلك اللحظة، وإن كان في موقف اللذة وجاءت الأقاويل فيها ألم تغير الإحساس، فمثلا نحن في وباء قاتل وخطير هزّ العالم والأوطان من جميع الأصعدة فعندما نتكلم عنه بشكل هزلي فإن الحمل

يقُل ونبتسم أو حتى نضحك في حين هناك وفيات، فالموقف موقف ألم والناس تضحك تبعاً للأقاويل المنشودة .

وهذا التنوع في النصوص الأدبية جاء مواكبا للحياة الحالية الراهنة لإخراج الإنسان من الضيق الذي هو فيه، "ونحن نستطيع بشكل عام أن نميّز بين نوعين من النصوص الأدبية، فبعضها تعمل عملها في القارئ على نحو ملموس فتعزّز من قناعاته الفكرية السابقة ومن سلوكه الواقعي أو تعدّل منها تعديلا ملموسا، وتكتفي نصوص أدبية أخرى بالترويج عنه وإدخال السرور على قلبه"⁷، نلّفي أن الأوبئة قد شغلت بال الكثير من الأدباء والمفكرين قديما وحديثا ، لما لها من تأثير عميق على جميع نواحي حياة الإنسان بدءا من فقدان الحبيب أثناء الوباء ، إلى الفرار من الموت والعيش في صراع غير معلوم مع الأوضاع السائدة، وهناك شاعر سوداني بحر الدين كتب بدوره شعرا عن اثر جائحة كورونا سعيّا منه إلى إيقاظ وعي الإنسان من التسبب واللامبالاة التي كان فيها ورده إلى إنسانيته ، فهو في نظر الشاعر أصبح شخصا مجردا من جميع الأحاسيس، كيف لا وهو كتلة متحجرة من الصخر ستتغلب على وباء نهش البشرية بطعناته يقول :

هذا الإنسان الآلي

سيقتل حلم الفيروسات

ويهزم بالحب سلالات الكوفيد⁸

وكان الشاعر يستبعد تغلب الإنسان في هذه لأشطر الشعرية على سلالة الكوفيد بالتهاون في قالب من السخرية والتهكم .

وهناك من الناس العامة الذين أطلقوا جملا تعبيرية تسخر من درجة الحرص والوقاية في كل منزل حيث عامة الناس اجتهدوا في إطلاق جمل ونكت ساخرة من الوضع الحالي بطابع هزلي، حيث قالوا **درجة التعقيم في المنزل تسمح بإجراء عملية قلب مفتوح في المطبخ**، وهذا يعني أن أغلب الأسر التزمت بشروط الوقاية تفاديا للوباء حتى صارت البيوت من كثرة تعقيمها يمكن إجراء عمليات جراحية فيها وقال آخر في آخر الزمان باتوا يقولون انتبهوا لكي لا نصبح مثل أرويا في إشارة منهم إلى استفحال الوباء فيها باعتبار أرويا كانت حلم الشباب من حيث الاقتصاد وتطور إلى أن أصبحت الدولة السائرة في طريق النمو تنفي وتحذر من التشبه بها، وهذا بدوره قالب هزلي يوضح كيف كانت أوروبا حلما صعب المنال وكيف أصبحت مكسوة بشبح كورونا

وقال آخر: من كثرة جلوسي مع زوجتي في البيت خلال فترة الحجر الصحي ، كنت عندما أسمع جرس المنزل أهرع لكي أضع غطاء الرأس ، وبعضهم يضحك قائلاً : كما قمنا بالتصفيق للجهاز الطبي العامل في مستشفيات أربع وعشرين ساعة ينبغي كذلك أن نصفق للجهاز الهضمي العامل أربع وعشرين ساعة كوننا في الحجر الصحي لا نملك شيئاً نتسلى به سوى الطعام .

كما انعكس الحجر المنزلي بالإيجاب على الرجال باعتراف أحدهم قائلاً : فيروس كورونا هو أفضل شئ حدث في حياتي زوجتي لا تريد السفر بعد الآن، ولم تعد تذهب للمركز التجاري تجنباً للحشود، وتقضي كل وقتها في قناع مع إغلاق فمها، هذا ليس فيروس إنما نعمة.

نلاحظ أن عامة الناس لم تخل بصامتهم من التعامل مع هذا الوباء بطريقة جدية ناجمة عن الخوف شديد، فكان لهم دور كبير في التخفيف من هول الأمر، وجاءت جملهم التي أطلقوها تعج بروح الفكاهة، وهذه كانت بعض المقتطفات من العبارات الكلامية ذات الأسلوب الهزلي و التي كانت موجودة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث أن تلك المواقع أصبحت الحل والملجأ الذي يعبر فيه الفرد على مكبوتاته سواء كانت جدية أو هزلية، خصوصاً أن تلك المواقع عبارة عن شبكات تواصل يجتمع فيها الأشخاص من كل مكان في العالم، ويتشاركون حياتهم ونفس المعاناة اليومية التي يمرون بها محاولين بذلك خلق جو من النشاط والابتهاج، بيد أن ما زال هذا الوباء الذي تمكن من التأثير على الإنسان نفسياً، باعتباره يصعب السيطرة عليه، إلا إذا طبقنا إجراءات الوقاية والتي منها احترام مسافة التباعد بيننا، تجنبنا للاختلاط والازدحام والتزمنا بشروط النظافة والتعقيم واحترام الحجر الصحي على أكمل وجه، حتى نتمكن من تجاوز هذه المحنة إن شاء الله تعالى .

الهوامش:

¹ <https://www.alkhaleej.ae>

² <https://www.alkhaleej.ae>

³ ينظر: أحمد مطلوب، النقد الأدبي الحديث، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ط 1، 1996، ص : 181.

⁴ السابق، ص: 328.

⁵ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 330 .

⁶ تودر وف، الشعرية، تر: شكري مبخوت ورجاء بن سلامة د، ط، دار توبقال لنشر المغرب ، 1986 ص : 10 .

⁷ حسن مصطفى سهلول ، القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، د:ط موقع لاتحاد الكتاب العرب ،2001،ص: 113.

⁸ <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>

المراجع :

- 1- أحمد مطلوب، النقد الأدبي الحديث، منشورات المجمع العلمي ، بغداد، ط 1، 1996 .

- 2-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ط:2 دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، 1981 .
- 3-طزفيطان تودوروف، الشعرية، تر: شكري مبخوت ورجاء بن سلامه د،ط، دار توبقال لنشر المغرب ، 1986
- 4-حسن مصطفى سهلول، القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، د:ط موقع لاتحاد الكتاب العرب 2001،
- 5-<https://www.alkhaleej.ae>
- 6-<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>